بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب فضائل القرآن

قال البخاري رحمه الله [1] (كيف ينزل الوحي ؟ وأول ما نزل) قال ابن عباس : المهيمن الأمين ، القرآن أمين على كل كتاب قبله . حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان ، عن يحيى ، عن أبي سلمة ، قال أخبرني عائشة ، وابن عباس ، قالا لبث النبي ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن ، وبالمدينة عشراً . اهـ

ذكر البخاري رحمه الله كتاب فضائل القرآن بعد كتاب التفسير لأن التفسير أهم فلهذا بدأ به ، جرينا على منواله وسننه مقتدين به . وقول ابن عباس في تفسير المهيمن انما يريد به البخاري قوله تعالى في المائدة بعد ذكر التوراة والانجيل

(١) أي في كتاب فضائل القرآن في أول باب منه ولم يذكر المؤلف لفظ باب

(وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) قال الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله: ثنا المثنى ثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية عن علي - يعني ابن أبي طلحة - عن ابن عباس قوله (ومهيمنا عليه) قال المهيمن الأمين قال القرآن أمين على كل كتاب قبله ، وفي رواية شهيداً عليه. وقال سفيان الثوري وغير واحد من الائمة عن أبي اسحاق السبيعي عن التميمي عن ابن عباس (مهيمنا عليه) قال مؤتمنا، وبنحو ذلك قال مجاهد والسدي وقتادة وابن جريج والحسن البصري وغير واحد من أئمة السلف. وأصل الهيمنة الحفظ والارتقاب ، يقال اذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده قد هيمن فلان عليه فهو مهيمن هيمنة وهو عليه مهيمن . وفي أسماء الله تعالى (المهيمن) وهو الشهيد على كل شيء الرقيب الحفيظ بكل شيء (١)

---

(١) هذا تفسير اللفظ، والمعنى أن شهادة القرآن لكتب الانبياء أو عليها هي الحق ومن شهادته أن أهل الكتاب حرفوا ونسوا حظاً مما ذكروا به وانهم أوتوا نصيباً منه، وجملة ذلك أنهم لم يحفظوا جميع كتبهم وأنهم حرفوا بعض ما حفظوه وكل هذا حق تؤيده الشواهد منها

وأما الحديث الذي أسنده البخاري أنه عليه السلام أقام بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشراً فهو مما انفرد به البخاري دون مسلم وإنما رواه النسائي من حديث شيبان وهو ابن عبد الرحمن عن يحيى وهو ابن كثير عن أبي سلمة عنهما . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام ثنا يزيد عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة ثم قرأ (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) هذا اسناد صحيح .

أما اقامته بالمدينة عشراً فهذا مما لا خلاف فيه . وأما اقامته بمكة بعد النبوة فالمشهور ثلاث عشرة سنة لانه عليه السلام أوحي اليه وهو ابن أربعين سنة وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح . ويحتمل أنه حذف ما زاد على العشر اختصاراً في الكلام لان العرب كثيراً ما يحذفون الكسور في كلامهم أو انهما انما اعتبرا قرن جبريل عليه السلام ، فانه قد روى الامام أحمد أنه قرن به عليه السلام ميكائيل في ابتداء

الامر يلقي اليه الكلمة والشيء ثم قرن به جبريل . ووجه مناسبة هذا الحديث بفضائل القرآن انه ابتدىء بنزوله في مكان شريف وهو البلد الحرام، كما أنه في زمن شريف، وهو شهر رمضان ، فاجتمع له شرف الزمان والمكان

ولهذا يستحب اكثار تلاوة القرآن في شهر رمضان ، لانه ابتدىء بنزوله . ولهذا كان جبريل يعارض به رسول الله في كل سنة في شهر رمضان فلما كانت السنة التي توفي فيها عارضه مرتين تأكيداً وتثبيتا . وأيضا ففي الحديث بيان أنه (١) من القرآن مكي ، ومنه مدني . فالمكي ما نزل قبل الهجرة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة سواء كان بالمدينة أو بغيرها من أي البلاد كان حتى ولو كان بمكة أو عرفة

وقد أجمعوا على سور أنها من المكي ، وأخر أنها من المدني ، واختلفوا في أخر . وأراد بعضهم ضبط ذلك بضوابط في تقييدها عسر ونظر . ولكن قال بعضهم كل سورة في

---

(١) كذا في الاصل والمراد أن الشأن والا لقال : ان من القرآن مكياً الخ أو : أن القرآن منه مكي الخ

أولها شيء من الحروف المقطعة فهي مكية ، إلا البقرة وآل عمران كما أن كل سورة فيها (ياأيها الذين آمنوا) فهي مدنية ، وما فيه (ياأيها الناس) فيحتمل أن يكون من هذا ومن هذا ، والغالب أنه مكي . وقد يكون مدنيا كما في البقرة (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون - يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين)

قال أبو عبيد ثنا أبو معاوية ثنا من سمع الأعمش يحدث عن إبراهيم عن علقمة : كل شيء في القرآن (ياأيها الذين آمنوا) فانه أنزل بالمدينة ، وما كان منها (يا أيها الناس) فانه أنزل بمكة . ثم قال ثنا علي بن معبد عن أبي المليح عن ميمون بن مهران ، قال ماكان في القرآن (يا أيها الناس - و - يابني آدم) فانه مكي ، وما كان (يا أيها الذين آمنوا) فانه مدني .

ومنهم من يقول : إن بعض السور نزل مرتين مرة بالمدينة ومرة بمكة والله أعلم . ومنهم من يستثني من المكي آيات ، يدعي أنها من المدني ، كما في سورة الحج وغيرها

والحق في ذلك ما دل عليه الدليل الصحيح فالله أعلم

وقال ابو عبيد حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة قال : نزلت بالمدينة سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والانفال ، والتوبة ، والحج ، والنور ، والاحزاب ، والذين كفروا ، والفتح ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والحواريون ، والتغابن ، و (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء) و (يا أيها النبي لم تحرم) والفجر ، (والليل إذا يغشى) ، و (إنا أنزلناه في ليلة القدر) ، ولم يكن ، و (إذا زلزلت) و(إذا جاء نصر الله) وسائر ذلك بمكة هذا إسناد صحيح عن ابن أبي طلحة مشهور ، وهو أحد أصحاب ابن عباس الذين رووا عنه التفسير

وقد ذكر في المدني سوراً في كونها مدنية نظر ، وما به الحجرات والمعوذات

﴿ الحديث الثاني ﴾ (١)

وقال البخاري ثنا موسى بن اسماعيل ، ثنا معتمر ، قال سمعت أبي ، عن أبي عثمان ، قال أنبئت أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ وعنده أم سلمة فجعل يتحدث ، فقال النبي ﷺ «من هذا؟» (٢) أو كما قال ، قالت هذا دحية ، فلما قام قالت (٣) والله ما حسبته إلا اياه حتى سمعت خطبة النبي ﷺ يخبر جبريل ـ أو كما قال ـ قال أبي (٤) فقلت لابي عثمان : ممن سمعت هذا ؟ قال من أسامة بن زيد رضي الله عنه .

وهكذا رواه أيضاً في علامات النبوة عن عباس بن الوليد النرسي ، ومسلم في فضائل أم سلمة عن عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن عبد الأعلى كلهم عن معتمر بن سليمان به .

---

(١) الحديث الاول هو الذي بدأ به الكتاب ولم يضع له عنوانا

(٢) عبارة البخاري : فقال لام سلمة الخ ولم يذكر القائل (ص) والمراد أنه (ص) سألها ليعلم هل لكونه جبريل أو لكونه ملك تمثل بصورة دحية بن خليفة الكلبي (رض) (٣) أي فلما قام النبي (ص) من عندها أي وذهب الى المسجد كما قالوا (٤) القائل هو معتمر

والغرض من إيراده هذا الحديث ههنا أن السفير بين الله وبين محمد ﷺ جبريل عليه السلام، وهو ملك كريم، ذو وجاهة وجلالة ومكانة، كما قال تعالى (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) وقال تعالى (إنه لقول رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين، وما صاحبكم بمجنون) الآيات

فمدح الرب تبارك وتعالى عبديه ورسوليه جبريل ومحمداً صلى الله وسلم عليهما، وسنستقصي الكلام على تفسير هذا المكان في موضعه إذا وصلنا اليه إن شاء الله تعالى وبه الثقة

وفي الحديث فضيلة عظيمة لأم سلمة رضي الله عنها كما بينه مسلم رحمه الله لرؤيتها هذا الملك العظيم وفضيلة أيضا لدحية بن خليفة الكلبي، وذلك أن جبريل عليه السلام كان كثيراً ما يأتي إلى رسول الله ﷺ على صورة دحية، وكان جميل الصورة رضي الله عنه وكان من قبيلة أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي كلهم ينسبون إلى كلب بن وبرة، وهم قبيلة من قضاعة وقضاعة قيل انهم من عدنان وقيل من قحطان وقيل بطن مستقل بنفسه والله أعلم

الحديث الثالث

حدثنا عبد الله بن يوسف، ثنا الليث، ثنا سعيد المقبري عن أبيه، عن أبي هريرة، قال قال النبي ﷺ «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»

ورواه أيضا في الاعتصام عن عبد العزيز بن عبد الله، ومسلم والنسائي عن قتيبة جميعا عن الليث بن سعد عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه وأخيه كيسان المقبري به

وفي هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن المجيد على كل معجزة أعطيها نبي من الانبياء وعلى كل كتاب أنزله، وذلك أن معنى الحديث: ما من نبي الا أعطي - أي من المعجزات - ما آمن عليه البشر، أي ما كان دليلا على تصديقه فيما جاءهم به واتبعه من البشر، ثم لما مات الانبياء لم تبق لهم معجزة بعدهم الا ما يحكيه أتباعهم عما شاهدوه في زمانه وأما الرسول الخاتم للرسالة محمد ﷺ فانما كان معظم

ما آتاه الله وحيا منه اليه منقولا الى الناس بالتواتر ، ففي كل حين هو كما أنزل . فلهذا قال « فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا » وكذلك وقع . فان اتباعه أكثر من أتباع الانبياء لعموم رسالته . ودوامها الى قيام الساعة واستمرار معجزته . ولهذا قال الله تعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) وقال تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)

ثم تقاصر معهم الى عشر سور منه فقال (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) ثم تحداهم الى أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فقال (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) وقصر التحدي على هذا المقام في السور المكية . كما ذكرنا في المدنية أيضا كما في سورة البقرة حيث يقول تعالى (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة

من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين * فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) وأخبر أنهم عاجزون عن معارضته بمثله وأنهم لا يفعلون ذلك في المستقبل أيضا

هذا وهم أفصح الخلق وأعلمهم بالبلاغة والشعر وقريض الكلام وضروبه لكن جاءهم من الله مالا قبل لأحد من البشر به من الكلام الفصيح البليغ الوجيز المحتوي على العلوم الكثيرة الصحيحة النافعة ، والاخبار الصادقة ، عن الغيوب الماضية والآتية ، والأحكام العادلة المحكمة ، كما قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا)

وقال الامام أحمد بن حنبل : ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا أبي ثنا محمد بن اسحاق قال ذكر محمد بن كعب القرظي عن الحارث بن عبد الله الأعور قال قلت : لآتين أمير المؤمنين فلأسألنه عما سمعت العشية ، قال فجئته بعد العشاء فدخلت عليه فذكر الحديث ، قال ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « أتاني جبريل فقال يا محمد أمتك مختلفة بعدك

قال « فقلت له فأين المخرج يا جبريل ؟ » قال « فقال في كتاب الله ، به يقصم الله كل جبار ، من اعتصم به نجا ومن تركه هلك — مرتين — قول فصل ، وليس بالهزل ، لا تخلقه الألسن ، ولا تفنى عجائبه ، فيه نبأ ما كان قبلكم ، وفصل ما بينكم ، وخبر ما هو كائن بعدكم » هكذا رواه الإمام أحمد

وقد قال أبو عيسى الترمذي : ثنا عبد بن حميد ، ثنا حسين بن علي الجعفي . ثنا حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحارث الأعور ، عن الحارث الأعور قال مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الاحاديث فدخلت على علي فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الاحاديث؟ قال أوقد فعلوها ؟ قلت نعم ، قال أما إني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول « إنها ستكون فتنة — فقلت فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال — كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ، ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم

هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ؛ هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به) من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعي اليه هدي إلى صراط مستقيم » خذها اليك يا أعور . ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول ، وفي حديث الحارث مقال (قلت) لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات بل قد رواه محمد بن اسحاق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث الاعور فبرئ حمزة من عهدته . على انه وإن كان ضعيف الحديث فانه امام في القراءة . والحديث مشهور من رواية الحارث الاعور وقد تكلموا فيه بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده أما انه تعمد الكذب في الحديث فلا والله أعلم

وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقد وهم بعضهم في رفعه وهو كلام حسن

صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ

قال الامام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه فضائل القرآن ثنا أبو اليقظان ثنا عمار بن محمد الثوري أو غيره عن أبي إسحاق الهجري عن أبي الاحوص عن عبد الله ابن مسعود عن النبي ﷺ قال «ان هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، ان هذا القرآن حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه ، لا يعوج فيقوّم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الرد ، فاتلوه فان الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات ، أما اني لا أقول الم حرف ، ولكن ألف عشر ولام عشر وميم عشر »

وهذا غريب من هذا الوجه ورواه محمد بن فضيل عن أبي اسحاق الهجري ، واسمه ابراهيم بن مسلم وهو أحد التابعين ولكن تكلموا فيه كثيراً ، وقال أبو حاتم الرازي : لين ليس بالقوي وقال أبو الفتح الازدي : رفاع كثير الوهم . (قلت) فيحتمل

والله أعلم أن يكون وهم في رفع هذا الحديث وانما هو من كلام ابن مسعود ولكن له شاهد من وجه آخر والله أعلم

وقال أبو عبيد أيضا ثنا حجاج عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن مسعود قال لا يسأل عبد عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فانه يحب الله ورسوله

﴿ الحديث الرابع ﴾

قال البخاري : ثنا عمرو بن محمد ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا أبي عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال أخبرني أنس بن مالك أن الله تابع الوحي على رسوله ﷺ قبل وفاته حتى توفاه اكثر ما كان الوحي ثم توفي رسول الله ﷺ بعد .

وهكذا رواه مسلم عن عمرو بن محمد هذا ـ وهو الناقد ـ وحسن الحلواني وعبد بن حميد والنسائي عن اسحاق بن منصور الكوسج اربعتهم عن يعقوب بن ابراهيم بن سعد الزهري به

ومعناه أن الله تعالى تابع نزول الوحي على رسوله ﷺ شيئا بعد شيء كل وقت بما يحتاج اليه ولم تقع فترة بعد الفترة الاولى التي كانت بعد نزول الملك أول مرة بقوله تعالى (اقرأ باسم ربك) فانه استلبث الوحي بعدها حينا يقال قريبا من سنتين او اكثر ثم حمي الوحي وتتابع وكان اول شيء نزل بعد تلك الفترة (يأيها المدثر * قم فأنذر)

﴿ الحديث الخامس ﴾

حدثنا ابو نعيم ثنا سفيان عن الاسود بن قيس قال سمعت جندبا يقول : اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلة او ليلتين فأتته امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا تركك ، فأنزل الله تعالى (والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى)

وقد رواه البخاري في غير موضع أيضا ومسلم والترمذي والنسائي من طرق أخر عن سفيان وهو الثوري وشعبة بن الحجاج كلاهما عن الاسود بن قيس العبدي عن جندب بن عبد الله البجلي به. وقد تقدم الكلام على هذا الحديث في تفسير سورة الضحى

والمناسبة في ذكر هذا الحديث والذي قبله في فضائل القرآن أن الله تعالى له برسوله عناية عظيمة ومحبة شديدة حيث جعل الوحي متتابعا عليه ولم يقطعه عنه ولهذا إنما أنزل عليه القرآن مفرقا ليكون ذلك أبلغ في العناية والاكرام

قال البخاري رحمه الله (١) : نزل القرآن بلسان قريش والعرب ، قرآنا عربيا بلسان عربي مبين ، حدثنا أبو اليمان ثنا شعيب عن الزهري اخبرني انس بن مالك قال : فأمر عثمان ابن عفان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن الحارث بن هشام ان ينسخوها في المصاحف وقال لهم : إذا اختلفتم انتم وزيد في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش فان القرآن نزل بلسانهم ، ففعلوا

هذا الحديث قطعة من حديث سيأتي قريبا الكلام عليه ، ومقصود البخاري منه ظاهر وهو ان القرآن نزل بلغة قريش وقريش خلاصة العرب ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا

---

(١) في البخاري هنا كلمة (باب) والمؤلف لا يذكر الابواب فيما ينقله هنا عن البخاري كما تقدم مثله

عبد الله بن محمد بن خلاد ثنا يزيد بن شيبان بن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال سمعت عمر بن الخطاب يقول: لا يلين في مصاحفنا هذه إلا غلمان قريش أو غلمان ثقيف وهذا اسناد صحيح

وقال أيضا حدثنا اسماعيل بن أسد ثنا هوذة ثنا عوف عن عبد الله بن فضالة قال لما أراد عمر أن يكتب الامام أقعد له نفراً من أصحابه وقال إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر فان القرآن نزل بلغة رجل من مضر ﷺ وقد قال الله تعالى (قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون) وقال تعالى (وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين) وقال تعالى (وهذا لسان عربي مبين) وقال تعالى (ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته * أأعجمي وعربي) الآية إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك

ثم ذكر البخاري رحمه الله حديث يعلى بن أمية أنه كان يقول: ليتني أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه الوحي فذكر الحديث في الذي سأل عمن أحرم بعمرة وهو متضمخ

بطيب وعليه جبة قال فنظر رسول الله ساعة ثم جاءه الوحي فأشار عمر الى يعلى أي تعال فجاء يعلى فأدخل رأسه فاذا هو محمر الوجه يغط كذلك ساعة ثم سري عنه فقال «أين الذي سألني عن العمرة آنفا ؟» فذكر أمره بنزع الجبة وغسل الطيب

وهذا الحديث رواه جماعة من طرق عديدة والكلام عليه في كتاب الحج ولا تظهر مناسبة ما بينه وبين هذه الترجمة ولا يكاد ولو ذكر في الترجمة التي قبلها لكان أظهر وأبين والله اعلم

جمع القرآن

قال البخاري حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا ابراهيم بن سعد ثنا ابن شهاب عن عبيد ابن السباق ان زيد بن ثابت قال ارسل الي أبو بكر مقتل اهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبو بكر: إن عمر بن الخطاب اتاني فقال إن القتل قد استحر (١) بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى ان تأمر بجمع القرآن ، فقلت لعمر كيف تفعل شيئا لم يفعله

(١) استحر اشتد